DEUİFD XLVIII/ 2018, ss. 269-288.

التَّصْوِيرُ بالإِيحَاءِ الصَّوتِيّ في القُرآنِ الكريم

Husain ASWAD*

الخلاصة:

يتناول هذا البحثُ دراسةَ شكلٍ من أشكالِ التصوير الفني في القرآن الكريم، وهو التصويرُ باللَّفظِ، وذلك من خلال اصطفاءِ عددٍ من ألفاظ القرآن الكريم تحلّت فيها خاصيّة الإيحاء الصوتي، وتحليلِ هذه الألفاظ ودراسةِ أنواع حروفها ومدودها وحركاتها، للوقوفِ على جرسها الموسيقي وتبيان دوره في تشخيص المعاني ورسم صورة مُتَخيَّلةٍ لها.

وقد اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي في دراسة الكلمات المختارة ضمن الآيات القرآنية، كما اعتمد بشكل جزئي على المنهج التاريخي لتتبّعِ مسار ظاهرة الإيحاء الصوتي قديمًا وحديثًا.

أما إشكالية هذا البحث فتدور حول ظاهرة التصوير الفني باللفظ الموحي في القرآن الكريم وعرض آراء العلماء القدماء والمحدثين فيها، ثم تحليل عدد من الآيات القرآنية التي تم اختياراها نماذجَ للدراسة التحليلية.

الكلمات المفتاحية: التصوير– الإيحاء– القرآن– لفظ– صورة–صوت– حرف

KUR'AN'IN FONETİK YAPISINDAKİ TASVİR

ÖZ

Bu çalışma edebi tasvir türlerinden biri olan lafız ile tasviri ele almaktadır. Bu, Kur'ân-ı Kerim'den sesle ilham verme özelliğini gösteren bazı lafızların seçilmesi, bu lafızların tahlil edilmesi, müzikal tonunu anlamak için o lafzı oluşturan harflerin çeşitlerinin, med durumlarının ve harekelerinin incelenmesi, mananın tespitinde oynadığı rolün açıklanması yoluyla olacaktır.

Çalışmada Kur'ân ayetleri içerisinden seçilen kelimelerin incelenmesinde analitik yöntem takip edilmiştir. Ayrıca geçmişte ve günümüzde "sesle ilham"

* Dr. Öğr. Üyesi, Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belâgatı Anabilimdalı, hos-s@hotmail.com , ORCID ID: orcid.org/0000-0002-7154-1547.

Makalenin Hakemlere Gönderiliş Tarihi : 01/10/2018

Makalenin Hakemlerden Geliş Tarihi : 30/10/2018

olgusunun tarihi serüvenini görebilmek amacıyla kısmi olarak tarihsel metottan faydalanılmıştır.
Anahtar Kelimeler: Tasvir, ilham, Kur'ân, lafız, biçim, ses, harf.

CREATING IMAGERY THROUGH SOUND SUGGESTIVENESS IN THE HOLY QURAN

ABSTRACT

This research explores a form of imagery in the Holy Quran, which involves creating images through utterance. This study is conducted by selecting a number of Quranic words in which this feature of sound suggestiveness is present. This involved analysing these words and studying their letter types, vowels, and accents to determine their musical tone and its role in diagnosing meanings and creating imagined pictures for them.

The study follows the analytical approach in studying the selected words within Quranic verses. It also relies partially on the historical approach in tracing the sound suggestiveness technique in old and contemporary studies.
Keywords: Suggestiveness, Quran, Word, Image, Sound, Letter

مقدمة:

إنّ اللغةَ في أصْلِ وَضْعِها عبارةٌ عن أَصْواتٍ وفونيماتٍ صوتيةٍ، ولِكلِّ اسمٍ مسَمًّى يدلُّ عليهِ، وفي اللغة العربيةِ علاقةٌ في كثير من الألفاظِ بينَ الدّالِ والمدْلولِ، إذ قد يستقلُّ لفظٌ واحدٌ برسمِ صورةٍ شاخصة من خلال جرسه الموسيقي ومن تأليفه من حروف معينة وأصوات خاصة ذات مدّ أو تشديد أو ترقيق أو تفخيم أو ما شاكل ذلك، فاللغةُ العربيةُ لُغةٌ صوتيةٌ مُعجِزةٌ بِكثرةِ ألفاظها وسِحرها، وإيحاءِ كثيرٍ من ألفاظها بمدلولاتها.

التصوير الفني وأشكاله:

تباينت أقوال المختصين في تعريف الصورة الفنية، ولعل أقرب تعريف لها قولُ أحدهم: هي «رَسْمٌ قِوامُه الكلمات» [1] فهي لوحة مُتخَيَّلةٌ تُرسَمُ في الذهن بفعل الألفاظِ والتراكيب.

---

1 – الجابي، أحمد نصيف: *في الرؤية الشعرية المعاصرة*، العراق، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، ص119. وينظر: عصفور، جابر: *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،

ويبدو لنا جليًّا أنّ التصوير الفني مزيّةٌ أساسيّة في كلام العرب شعرهم ونثرهم، وهو سمةٌ بارزة أيضًا في التعبير القرآني، ولا تكاد تخلو سورة أو آية منه.

وللتصوير الفني أشكال[2] منها:

- التصوير البياني: ويكون باستعمال أساليب علم البيان التي تقوم على المجاز من تشبيه واستعارة وكناية.
- التصوير بالتأليف: ويكون بورود العبارات الحقيقية الخالية من المجاز على نسق معين تستطيع فيه تشخيص المعاني وتجسيدها لِتَكُون على شكل مشهد تصويري حيّ.
- التصوير باللفظ: وهو مدارُ هذا البحثِ ويكون بِرسمِ بعض الألفاظ صورة فنية شاخصة تتشكل من إيقاع الكلمة وجرسها الموسيقي، ومن تأليفها من حروف معينة وأصوات خاصة ذات مدّ أو تشديد أو ترقيق أو تفخيم أو ما شاكل ذلك مما سنراه في هذا البحث.

- **الإيحاء الصوتي عند القدماء:**

أَشارَ علماءُ العربيةِ القدامى إلى ظاهرة الإيحاءِ الصوتي، والمناسبةِ بينَ الأصواتِ ومدلولاتها، ولعل الخليلَ بنَ أحمدَ الفراهيدي[تـ 175هـ] هو أوّلُ من تَنَبّه إلى هذا الأمر فقال: «كأنهم تَوهَّموا في صَوتِ الجُنْدُبِ استِطَالةً وَمَدًّا فقالوا: صَرَّ، وتَوهَّموا في صَوتِ البَازِيّ تقطيعًا فقالوا: صَرْصَرَ»[3] وقال سيبويهِ[تـ 180هـ] في حقِّ المصادرِ التي تكون على وَزْنِ الفَعَلانِ:«: إنها تأتي للاضْطِرابِ والحَرَكةِ، نحو:

الطبعة الثالثة، 1992م، ص8، والبطل، علي: *الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري*، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1983م، ص25. و حسين، محمد الخضر: الخيال في الشعر العربي، الطبعة الثانية، 1392هـ - 1927م، ص13.

2 - للاطلاع على أنواع التصوير الفني ينظر: قصاب، وليد: *في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم*، دار الفكر دمشق- دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، 1435هـ -2014م، ص182-187.

3 - ابن جني، عثمان: *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر، 152/2

النَّقَـزَانِ والغَلَيَـانِ والغَثَيَـانِ، فقَـابَلوا بِتَـوالِي حَرَكَـاتِ المِثَـالِ تَـوالِي حَرَكَـاتِ الأَفْعَـالِ»[4] وعقّـب ابـنُ جِنّي[تـ392هـ] على هـذا الموضـوع قـائلا: «ووجـدتُ أنا مـن هـذا الحـديثِ أشـياءَ كثيرةً على سَمْتِ مـا حَـدَّاهُ، ومِنْهـاجِ مـا مَثَّلَاهُ؛ وذلـك أنّـك تجـدُ المصـادِرَ الرُّباعيـة المضـعَّفةَ تأتي للتَّكْريرِ نحـوَ؛ الزَّعْزَعَـةِ والقَلْقَلَـةِ والصَّلْصَلَةِ والقَعْقَعَةِ والصَّعْصَعَةِ والجَرْجَرَةِ والقَرْقَرَةِ، ووجدت أيضًـا الفَعَلى في المصـادرِ والصِّـفاتِ إنمـا تأتي للسُّرْعَةِ نحو البَشَكَى والجَمَزَى والوَلَقَى» [5].

وأفـردَ ابـن جِـنّي بابًا في الخصـائص عـالجَ فيـه هـذا الموضـوعَ أسمـاهُ: بابٌ في تَصـاقُبِ الألفـاظِ لِتَصاقُبِ المعاني، وقد مَثّلَ لذلك بأمثلةٍ كثيرةٍ [6].

وتحـدّثَ فَخْـرُ الـدّينِ الرَّازي[تـ 606هـ] عـن التّصـوير الصّـوتي في تفسـيره، وقـال: "إنّ الإنسـانَ عنـد الرَّاحـةِ أو الوَجَـعِ قـد يقـولُ: أَخْ، وعنـد السُّعَالِ قـد يقـولُ: أَحْ أَحْ، فهـذه أصـواتٌ مرَكَّبَـةٌ، وحـروفٌ مُؤلفةٌ، وهي دالَّةٌ على مَعَانٍ مخصوصةٍ، لكنَّ دَلالَتَها على مَدْلُولاتِها بالطَّبعِ لا بالوَضْعِ ... وكذلك صوتُ القَطَا يُشْبِهُ كأنَّه يقولُ: قَطَا، وصَوتُ اللَّقْلَقِ يُشْبِهُ كأنه يقولُ: لَقْ لَقْ"[7].

إذا فـالحُروفُ أصْـواتٌ تُـوحي في كثـيرٍ مـن الألفـاظِ بِمَـدْلولاتِها، فَيَحْصُـلُ تـلاؤمٌ بـينَ الكـلامِ والأصواتِ التي تُشَكِّلُ الكلمةَ الواحدةَ، فَتَأتَلِفُ اللفظةُ بائتِلافِ أصواتها، ويقوى سِحرُها بقوةِ إيحائها، فإذا ما أَتَتِ اللفظَةُ الموحِيةُ المعَبِّرَةُ عن معناها وقُوَّتِهِ أو ضَعْفِهِ في سِياقٍ مُناسبٍ كانَ التَّعبيرُ أبْلَغَ والتَّصْويرُ أبْيَنَ.

وذَكَرَ السُّيوطيُّ[تـ 911هـ] أيضًـا في الإتقـانِ بابًا في(ائتلافِ اللفـظِ مـع اللفـظِ وائتلافـه مـع المعنى) ورأى أنَّ ائتِلافَ اللفظِ مع المعنى« بِأنْ تَكُونَ أَلفَاظُ الكلامِ مُلائمةً للمعنى المرادِ، فإنْ كانَ فَخْمًا

---

4 – ابن جني، المصدر السابق، 152/2

5 – ابن جني، المصدر السابق، 153/2

6 – نحو قوله: (ومنه العَسْف والأسَف, والعين أخت الهمزة, كما أن الأَسَف يَعْسِفُ النفسَ ويَنَالُ منها, والهمزةُ أقوى من العين, كما أنّ أَسَفَ النَّفسِ أغلظُ من التَّردِ بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين) ينظر: ابن جني، المصدر السابق، 153/2

7 – الرازي، فخر الدين: *التفسير الكبير*، المطبعة البهية المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1938م، 18/1.

كانتْ ألفَاظُهُ فَخْمةً، أو جَزْلًا فَجَزْلةً، أو غَريبًا فَغَريبةً، أو مُتَداوَلًا فَمُتَدَاوَلةً، أو مُتوسِّطًا بينَ الغرابةِ والاستعمال فكذلكَ» [8]. ثم يأتي بأمثلة من القرآن الكريم على هذه الظاهرة، فيقولُ مثلًا: «وقولُه:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[سورة البقرة: الآية286] أَتى بِلَفْظِ الاكتِسابِ المشْعِرِ بالكُلْفَةِ والمبالغةِ في جانبِ السَّيِّئةِ لِثقْلِها، وكذا قولُهُ: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾[سورة الشعراء: الآية94] فهو أبلغُ من (كُبُّوا) للإشارَةِ إلى أَنَّهُم يُكَبُّونَ كَبًّا عَنِيفًا فَظِيعًا»[9].

فلكثير من الألفاظ العربيةِ إيحاءاتٌ صوتيةٌ متَناسبةٌ ومعَانيها يستطيع السامع أن يتصورها في ذهنه وأن يفهمها بمجردِ سماعها، والقرآنُ الكريمُ يختارُ لِكلِّ سِياقٍ لفْظَةً تُناسِبُ معناهُ، فللألفاظِ القرآنيةِ إيحاءاتٌ قويةٌ مَبْثوثةٌ من خلالِ الأصواتِ والحركاتِ المتَناسبةِ في الشِّدَّةِ والجَهْرِ والهَمْسِ والرَّخاوةِ.

- **الإيحاء الصوتي عند المحدثين:**

ممّن أشارَ في العصرِ الحديثِ إلى التصويرِ الصوتي للغةِ العربية وللقرآن الكريمِ على السواءِ إبراهيم أنيس في كِتابِه(دَلالةُ الألفاظِ) من ذلكَ قوله: « ففي كثيرٍ من ألفَاظِ كُلِّ لُغةٍ تَلْحَظُ تِلكَ الصلةَ بينَها وبينَ دَلالاتِها» [10].كما ألَّفَ عبّاس محمود العقاد في هذا المجال كتابًا أسماهُ(اللغةَ الشاعرةَ) أكّدَ فيه أن اللغةَ العربيةَ لغةٌ موحِيةٌ[11].

وممن تحدّثَ عن هذا الأمرِ أيضًا الأديب مصطفى صادق الرافعي في كتابه(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) وقد أطنبَ في الحديثِ عن الجانب الصوتي ودلالةِ الحركاتِ الثلاثِ، وضربَ لذلك أمثلةً كثيرةً، وذهبَ إلى أن« مادةَ الصوتِ هي مظهرُ الانفعالِ النفسي، وأنَّ هذا الانفعالَ بطبيعتهِ إنما هو

---

8 – السيوطي، جلال الدين: *الإتقان في علوم القرآن*، تعليق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م، 911/2.

9 – السيوطي: المصدر السابق 912/2-913.

10 – أنيس، إبراهيم: دلالةُ الألفاظِ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1985م، ص 66.

11 – ينظر العقاد، عباس محمود: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1995م،12-16.

سببُ تنويعِ الصوتِ» [12]. وقال في موضعٍ آخرَ: «إنّ لِكُلِّ لَفظٍ صَوتًا ربّما أَشْبَهَ موقِعَهُ من الكلامِ ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه والذي تُساقُ له الجُملةُ»[13]. وقال أيضًا: « حتى إنّ الحركةَ ربما كانت ثقيلةً في نفسِها لسبب من أسباب الثِّقَلِ أَيُّهَا كانَ، فلا تَعْذُبُ ولا تُسَاغُ، وربما كانت أَوْكَسَ النَّصِيبينِ في حظِّ الكلامِ من الحَرْفِ والحركةِ، فإذا هي استُعْمِلتْ في القرآن رأيتَ لها شَأنًا عجيبًا، ورأيتَ أصواتَ الأحرفِ والحركاتِ التي قَبْلها قد امْتَهَدَتْ لها طريقًا في اللسانِ، واكْتَنَفَتْها بِضُروبٍ من النَّغَم الموسيقي حتى إذا خَرَجَتْ فيه كانت أعذبَ شيء وأرقَّهُ، وجاءت مُتَمكِّنَةً في موضعها، وكانت لهذا الموضعِ أَولى الحَرَكاتِ بالخِفَّةِ والروعةِ»[14] ثم أتى بمثالٍ يشرح فيه قوله السابق، إذ يقول: «من ذلك لفظةُ (النُّذُر) جمعُ نذيرٍ؛ فإنّ الضمةَ ثقيلةٌ فيها لِتَواليها على النونِ والذال معًا، فضلًا عن جَسْأَة هذا الحرف ونُبوّهِ في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكل ذلك مما يكشفُ عنه ويُفصِحُ عن موضع الثِّقَل فيه، ولكنه جاء في القرآن على العكسِ وانتفى من طبيعتهِ في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) فتأملْ هذا التركيبَ، وأَنْعِمْ ثم أَنْعِمْ على تَأَمُّلِهِ، وتذوقْ مواقعَ الحروفِ وأَجْرِ حَرَكَاتها في حِسّ السمعِ وتأملْ مواضعَ القلقلةِ في دالِ (لقد)، وفي الطاءِ من (بطشتنا) وهذه الفتحاتُ المتواليةُ فيما وراءَ الطاءِ إلى واو (تماروا)، مع الفصل بالمدّ كأنها تثْقيل لخفةِ التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثِقَلُ الضمة عليه مُستخَفًّا بعدَ ذلكَ، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة»[15].

ولِسَيِّد قُطْب في كتابه(التصوير الفني في القرآن الكريم) كلام مهم عن التصويرِ بالإيحاء وبِجَرْسِ الكلماتِ في القرآن الكريم، يقول:« ويَجبُ أن نتوسَّعَ في معنى التصوير حتى نُدركَ آفاقَ التصويرِ في القرآنِ الكريم، فهو تصويرٌ باللَّونِ، وتصويرٌ بالحركةِ، وتصويرٌ بالتخييلِ، كما أنه تصويرٌ بالنغمةِ تقومُ مَقامَ اللونِ في التمثيلِ، وكثيرًا ما يشتركُ الوصفُ والحِوارُ، وجَرْسُ الكلماتِ، ونَغَمُ العِباراتِ، وموسيقا السياقِ،

12 – الرافعي، مصطفى صادق: إعجازُ القرآنِ والبلاغةُ النبوية، دار الكتابِ العربي، بيروت، الطبعةُ الثالثة، 1990م، ص215

13 – المرجع السابق، ص226.

14 – المرجع السابق، ص227–228.

15 – الرافعي: إعجازُ القرآنِ والبلاغةُ النبوية، ص227–228.

في إبرازِ صُورةٍ من الصورِ تتملَّاها العَينُ والأُذُنُ، والحِسُّ والخَيالُ، والفِكرُ والوُجدانُ»[16]. ويَسُوقُ سَيِّد قطب المثالَ تِلْوَ المِثالِ ليؤكد نظريةَ تصويرِ جَرْسِ الألفَاظِ، من ذلك قوله يُعَبِّرُ عن إيحاءِ لفظِ(صِرٌّ) عن معناها في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾[سورة آل عمران:117]:«ولا يَفوتُنا ما في جَرْسِ كلمة(صِرٌّ) من تَصويرٍ لِمَدلولاتها، وكأنما هو قَذَائفُ صَغيرةٌ تنطَلِقُ على الحَرْثِ فَتُهْلِكُهُ، وذلكَ لَونٌ من التَّناسُقِ»[17].

وتَحَدّثَ سيد قطب مفصَّلًا عن التصوير الصوتي في فصل(التناسق الفني) واصطلحَ عليه اسم(تناسق التصوير) يقول: « وقد يستقلُّ لفظٌ واحدٌ- لا عِبارةٌ كاملةٌ- بِرَسْمِ صُورةٍ شَاخِصةٍ، لا بِمُجرَّدِ المساعدةِ على إكمالِ مَعالمِ صورة، وهذه خُطوةٌ أخرى في تناسقِ التصوير، أبعدُ من الخطوةِ الأولى، وأقربُ إلى قِمَّةٍ جَديدةٍ في التناسقِ، خُطوةٌ يَزيدُ من قيمتها أنَّ لفظًا مُفردًا هو الذي يَرسمُ الصورةَ، تَارَةً بِجَرْسِهِ الذي يُلْقِيهِ في الأُذُنِ، وتارةً بِظِلِّهِ الذي يُلْقِيهِ في الخَيالِ, وتارةً بالجَرْسِ والظِّلِّ جميعًا» [18].

وقد أتى بأمثلةٍ كثيرةٍ على التصوير بالإيحاء الصوتي، من ذلك لفظة (يُبَطِّئَنَّ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾[سورة النساء: الآية72] إذ تَرتَسِمُ صورةُ التَّبْطِئةِ في جَرْسِ العبادة كلِّها، وفي جرسِ(لَيُبَطِّئَنَّ) خاصةً، وإنّ اللسانَ لَيَكادُ يَتعثَّرُ وهو يتخبّطُ فيها حتى يصلَ بِبُطءٍ إلى نِهايتها[19]. وكلمة (نُلْزِمُكُمُوهَا) في قولِ هود:﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[سورة هود: الآية 28]فَنَشعُرُ أنّ هذه الكلمةَ تُصَوّرُ لنا حالةَ الإكراهِ بإدماجِ كلِّ الضمائرِ السابقة في النطقِ، وربط بعضها إلى بعضٍ، كما يُدْمَجُ الكارهونَ مع ما يَكرهونَ، ويُشَدُّونَ إليهِ وهم منه نَافرون[20]. كذلك كلمةُ (يصطَرِخونَ) في الآية:﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾(فاطر : 36-37) فَيُخَيّلُ إليكَ جرسُها الغَليظُ، غِلَظَ الصُّراخِ المختَلِطِ المتَجَاوِبِ من كلّ مكانٍ، المنْبَعِثِ من حَنَاجِرَ مكتظّةٍ بالأصواتِ الخَشنةِ، كما تُلقِي إليك ظِلَّ

16 – قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، الطبعة 13، 1993م، ص37

17 – المرجع السابق، ص41.

18 – قطب: التصوير الفني في القرآن، ص91.

19 – المرجع السابق، ص92.

20 – ينظر المرجع السابق، ص92.

الإهمال لهذا الاصطراخِ الذي لا يَجِدُ من يهتمُّ به أو يلبّيه، وتلمحُ من وراءِ ذلك كلّه صورةَ ذلك العذابِ الغليظِ الذي هم فيه يصطرخون [21].

- **نماذج تطبيقية للإيحاء الصوتي في القرآن الكريم:**

يذخر القرآن الكريم بأمثلة وافرة لظاهرة الإيحاء الصوتي أو ما يمكن أن يسمى الرسمُ بالكلمات والتعبير بالأصوات والحركات، نستعرض بعضها على نحو موجز:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة التوبة: الآية38] في هذه الآية خطاب عتابيٌّ لمن تخلّف عن غزوة تبوك وتثاقل عن الجهاد، وقد ظهرت ملامح العتاب في الاستفهام الاستنكاري في قوله:(مَا لَكُم ؟) وتجلّت لنا ملامح التثاقُلِ واضحةً في قوله:(اثاقلتم) أي: تباطأتم عند الخروج وتكاسلتم ومِلتُم إلى القعود « إن كلمة (اثاقلتم) بصيغتها وإيقاعها ترسم صورة حسية شاخصة لأولئك المتثاقلين عن الجهاد، وإن نظام الحروف وتأليفها على هذا النسق؛ التشديد والمدّ والوقف، يوحي بالمعنى، ويرسم صورةً للتثاقل الشديد، فتبدو حركة الفعل نفسها وكأنها تتجه إلى الأسفل...ويتخيل المتلقي من إيقاع اللفظ جسمًا ضخمًا متثاقلا، وكلما حاول الرافعون إنهاضه استعصى عليهم، وبدا مشدودًا إلى الأسفل » ويقول سيد قطب عن هذه اللفظة: «إن في هذه الكلمة "طنًّا" على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس، وَلَضاع الأثر المنشود، ولَتوارتْ الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها.»[22]

ومن ذلك قوله تعالى: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)[سورة النازعات:الآية6]

إذ يتكلمُ اللهُ عزّ وجلّ عن مَشَاهدِ يوم القيامة حيث تُزَلزَلُ الأرضُ وترجُفُ، ويأتي القرآن أولًا بلفظة (ترْجُف) حيث الراءُ ساكنةً، وفي حرف الراء سمةٌ تميّزه من سائر الحروف هي التكرار الصوتي[23]،

---

21 – ينظر المرجع السابق، ص92.

22 – قطب: التصوير الفني في القرآن ، 91-92.

23 – أشار محمد المبارك إلى أن صوت الراءِ يدلُّ على تكرارِ الفعل ودِيمومتِهِ مثل: جَرّ ومَرّ ، ودَرّ ، وفَرّ ، وقَرّ ، ورعى ورسا ، وسرى ، ورقى، وذكر حسن عباس أن من معاني صوتِ الرَّاءِ : التحركُ والتكرارُ والترجيعُ. ينظر المبارك، محمد:

فهو« حرف شديدٌ يجري فيه الصوت لتكريره» [24] وإذا تكلمنا به خرج كأنه مُضعَّف، ثم إن الراءَ هنا جاءت ساكنةً مما يزيد في تكرار اهتزازات اللسان في أثناء النطق بها، إذ إن الصوتَ تَظهرُ خصائصُه بشكل أوضح في سكونه، ثم يأتي حرفُ الجيمِ بعدَه –وهو حرف شديدٌ أيضًا– ليُوحي بتكرارِ الرّجْفةِ وقسوتها، وأتى بعدَها بلفظِ (الرّاجفة) فتكرَّرَ اللفظُ نفسُهُ بصيغة اسم الفاعل ليؤكد معنى الرّجفةِ وقوَّتها ثم ننتبهُ فنجدُ الراءَ مشدَّدةً لتوحيَ بتكرارِ الرجفةِ ، وبعدها الجيمُ جاءتْ مكسورةً، فالأصوات هنا توحي بزلزلةِ الأرضِ، ويأتي بعدها صوتُ الفاءِ وكأنه يوحي بتطايرِ الأشياءِ، لأنّ الفاءَ حرفٌ مهموسٌ يَسْمَحُ عند نُطقهِ بجريانٍ كثيرٍ لهواء النّفَسِ نتيجة انفتاح الوَترين الصوتيَّينِ، وكأنّ الفاءَ هنا توحي بصوتِ الريحِ وهي ترمي بالأشياء في مهبّ العاصفة، فإذا ما وقفنا عند (الراجفة) وهي هنا فاصلةٌ، انقلبتِ التاءُ المربوطةُ هاءً، لتعطيَ كذلك إيحاءً بِصوتِ هبوب الرياح. لقد تكاملت الإيحاءات الصوتية الصادرة عن أحرف كلمات الآية السابقة في رسم صورة مخيفة لمشهدٍ من مشاهد يوم القيامة حيث ترجف الأرض وتُزلزلُ.

وتَرسمُ أحرفُ كلماتِ قولِهِ تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [سورة الحاقة: الآيات 1–3] صورةً مشابهةً للصورة الماضية، فالحَاقَّةُ اسمٌ من أسماءِ يومِ القيامةِ يَتَحَقَّقُ فيها ما يُنْكِرُ الكَافرونَ[25]، وحينَ نَسمعُ أصواتَ هذه اللفظةِ نلحظ جرسَ حروفها التي تتسم بالشدة والقوة، ويأتي هنا المدُّ اللازمُ لِيُمَدَّ سِتَّ حركاتٍ وجوبًا أو بمقدارِ ثلاثِ أَلِفاتٍ[26] ، ثم يتكرَّرُ المدُّ بِتَكَرُّرِ لفظِ(الحاقة)، وتأتي بعدَ المدِّ القافُ مشدَّدَةً، والقافُ حرفٌ مُسْتَعْلٍ شَديدٌ، فلفظةُ (الحَاقّةِ) تُوحي بالفَزَعِ وهولِ مَشَاهد يومِ القيامةِ وهيبتها، حَقًّا إنَّ أصواتَ هذه اللفظةِ فيها ما يُرهبُ السَّامِعَ، وإنْ لم يَفهم معناها، وذلك بما تُوحيه القافُ المشدَّدةُ بعدَ مدِّ الألفِ الطّويلِ.

فقه اللغة دراسةٌ تحليلية مقارنة للكلمة العربية، ص151، مطبعة جامعة دمشق، 1960م و:عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 85 منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق – 1998.

24 – أبو بشر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية،1402هـ – 1982 م، 435/4.

25 – يُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ – 1999م، 208/8

26 – ينظر: سويد، أيمن رشدي: النور المبين في تجويد القرآن الكريم، دار أفنان، الطبعة الثالثة، الشارقة –1426هـ، ص48

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[سورة النجم: الآيتان 21-22]نلحظ غرابةَ كلمة(ضِيزَى) وصعوبةَ تَلفُّظِها، ولمعرفةِ أسرارها ننقل ما جاء في معناها وفي أسباب نزولها وسياق استعمالها؛ إنّ لفظةَ (ضِيزَى) « مِنْ أَغْرَبِ ما جاءَ في ألفاظِ القرآنِ، ومعناها: ناقصةٌ أو جائرةٌ، ومع ذلكَ فإنَّ حُسْنَها في نظمِ الكلامِ من أغربِ الحُسْن وأعْجَبِهِ، ولو أَدَرْتَ اللُّغةَ عليها ما صَلُحَ لهذا الموضعِ غيرُها؛ فإنَّ السورةَ التي هي منها، وهي سورة النَّجمِ، مفصلةٌ على الياءِ كلّها، فجاءتِ الكلمةُ فاصلةً من الفواصِلِ، ثُمَّ هي في مَعْرِضِ الإنكارِ على العَرَب، إذ وردتْ في ذِكْرِ الأَصْنامِ، وفي زَعْمِ الكَافرينَ في قِسْمةِ الأولادِ، حيثُ جعلوا الملائكةَ والأصنامَ بَنَاتٍ للهِ معَ وَأْدِهِم البناتِ فقال تعالى﴿ ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ فكانت غرابةُ اللفظةِ أشدَّ الأشياءِ ملاءمةً لِغرابةِ هذه القِسمة التي أَنْكَرها، وكانت الجملةُ كلُّها كأنها تُصَوِّرُ في هيئةِ النُّطْقِ بها الإنكارَ في الأُولى والتَّهَكُّمَ في الثانية، وكان هذا التصويرُ أبلغَ ما في البلاغةِ، وخاصَّةً في اللفظةِ الغريبةِ التي تمكنَتْ في موضعها من الفَصْل، ووصفتْ حالةَ المُتَهَكِّم في إنكارِهِ من إمالةِ اليد والرأسِ، بهذين المدَّينِ فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعتْ إلى كلِّ ذلك غرابةَ الإنكارِ بِغرابتها اللفظيةِ »[27]، حقًّا إن نطق حروف كلمة (ضيزى) يوحي بإحساسٍ غريبٍ ناجمٍ عن ثِقَلِ التَّلفُّظِ بها وصعوبة الانتقال من مخرج(الضاد) إلى مخرج(الزاي) وهذا الائتلاف الغريب لأَحْرُفِها ليس إلا تصويرا يوحي بهذه القسمة الغريبة حيثُ جعلوا الملائكةَ والأصنامَ بَنَاتٍ للهِ.

وعندما نقرأ لفظةَ (يسْتَصْرِخُهُ) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ [سورة القصص: الآية 18] فإننا نُلاحظُ أنَّ نُطْقَ هذهِ اللفظة يوحي بصوتِ الصُّراخ من خلال وُرُودِ حرفَيْ صفيرٍ سَاكنينِ، هما السين والصاد، وإذا قَطَّعْنا اللفظةَ إلى مقاطعَ صوتيّةٍ أو فونيماتٍ صوتيةٍ (يسْ – تصْ – رِخُه) نجدُ أن أحرفَ الصفيرِ جاءت ساكنةً لِيُصبحَ الصفيرُ أشدَّ ثم الرّاءُ التي توحي بتكرارِ الصُّراخِ ثم الخاءُ، وكأنّنا نسمعُ الصُّراخَ أمامنا، إنه إيحاءٌ صوتيٌّ للَّفظةِ يُخَيِّلُ لنا مدلولهَا ويُجَسِّمُه أمامنا كأنه مُشاهَدٌ مرئيٌّ.

27 – عبد التواب، صلاح الدين: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م، ص83-84

ونقِفُ أيضًا عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[سورة الأعراف: الآية 143] فنلحظ أن لفظةَ (دَكًّا) تُوحي بِصوتِ الدَّكِّ؛ وهو هَدْمُ الجَبَلِ والحَائطِ وَنَحوِهِمَا[28]ويبدو إيحاءُ الدّكِّ واضحًا في تشديدِ صوتِ الكاف الشديدةِ المهموسةِ، فالشَّدَّةُ تُناسبُ قوّةَ الدَّكّ، والهمسُ يُوحي بتمام الدكّ ويُناسبُ دَلالتَهُ عليه، فالكافُ تُحاكي بتشديدها صوتَ الدَّكِّ، وجاء بعدها مدُّ أَلِفٍ لِيُعطِيَ صوتًا كالصّدى، وهو صدى الدَّكِّ وتَمامُهُ، ولكَ أنْ تقرأ اللفظةَ وتُعيدَ قراءتها وتتخيّلَ مشهدَ الدَّكِّ الذي تولّدهُ أصواتُ الكلمةِ (دكّا).

ونقرأ قوله تعالى :﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة النمل: الآيتان 20-21] ويمكنُ أنْ نتأملَ الألفاظَ (لَأُعَذِّبَنَّهُ – لَأَذْبَحَنَّهُ – لَيَأْتِيَنِّي) فإنها أَلفاظٌ توحي بالغضَبِ والتهديدِ من خلالِ طُولِ اللفظةِ وكثرةِ حُروفِها أولاً ثم من خلالِ حُروف الذّالِ المشددةِ في اللفظة الأولى والذّالِ الساكنة في اللفظة الثانية والهَمْزاتِ والنونِ المشددةِ، وفي بداية كلِّ كلمةٍ نجدُ اللامَ وهو حرف في صوته انحرافٌ ، فانحرافُ صوتِ اللامِ إلى جانبي طَرَف اللسان يوحي بالغضب والتهديد ولا سيما أنّ اللام جاءت مفتوحةً، وانظر تكرار الشّدّةِ مرتينِ في لفظِ (لأعذّبنّه) ثم المدودَ في آخرِ الألفاظِ؛ ففي اللفظتين الأولى والثانية (مدُّ صلةٍ) (هو)، والكلمة الثالثة (مدُّ ياء) وذلك ليكتملَ التهديدُ، ولكَ أن تقرأَ الكلمةَ فتستشعرَ قَسْوَتَها وشِدَّتَها، وهنا أدّتْ زيادةُ الحروف في الكلمات زَيادةً في المعنى، فقولهُ : لأعذبنّه أبلغُ من (لأعذبه) وهكذا، لأنّ زيادةَ المبنى تؤدي إلى زيادةِ المعنى، أي إنّ زيادة حروف الكلمة تعطي زيادةً في المعنى ومبالغةً فيه، من ذلك قوله تعالى:﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ [سورة الشعراء: الآية 94] يقول السيوطي [ت849هـ]: « فهو أبلغُ من (كُبُّوا) للإشارةِ إلى أنهم يُكبُّونَ كَبًّا عَنِيفًا فَظِيعًا»[29]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[سورة فاطر: الآية 37] فهذه اللفظةُ تُوحي بالصُّراخِ من خلال كثرةِ حُروفِ الكلمة، يقول

28 – ينظر: أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة،424/10.

29 – السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تعليق مصطفى البغا، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت الطبعة الأولى، 1987م،912/2

السيوطي : " (يَصْطَرِخُونَ) أبلغُ من (يَصْرُخُونَ) للإشارةِ إلى أنهم يَصْرُخُونَ صُرَاخًا مُنْكَرًا خَارِجًا عن الحَدِّ المعْتَادِ "[30].

ومن الآيات التي توحي بعض ألفاظها بمعانيها قوله تعالى:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا﴾[سورة الزمر: الآية 29] ولنتأملْ اللفظتين (مُتَشاكِسُونَ)و(سَلَمًا) وَلْنُعِدْ قراءتهما نجدْ أنهما تُلقيان بظلال معناهما علينا، فلفظةُ (مُتَشاكِسُونَ) توحي بمعناها بسبب صعوبة نُطقها، وصعوبةُ نُطقها ناتجةٌ عن تَقارُبِ مخارجِ حروفها من جهةٍ ومن جهة أخرى كثرةُ حُروفها، فالتاءُ تخرج من طَرَف اللسانِ معَ مَنْبَتِ الثنايا العليا، ثم تأتي الشينُ التي تخرجُ من وَسَطِ اللسان، ثم يأتي مدُّ الألفِ لِيوحِيَ بِصُرَاخٍ ومُشَاكَسَةٍ، ثم نقفزُ في النُّطقِ إلى أقصى اللسان لِتَخْرُجَ الكافُ ثم يأتي الصفيرُ بالسِّينِ، ففي لفظةِ (مُتَشاكِسُونَ) إيحاءٌ بالمشَاكَسةِ وهي المنازَعَةُ وسُوءُ المعاملةِ، ولكننا إذا قرأنا كلمة (سَلَمًا) فإننا سنجدُ الفرقَ لِسُهولةِ مخارجِ هذه الكلمةِ وسَلاستها ويُسْر نُطقها وسُهولتها بما يتناسب مع مضي السلام والمحبة والوئام.

ونقرأ قوله تعالى يتكلّمُ عن نَدَمِ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيط[31] يومَ القيامة بسببِ ارتدادهِ عن الإسلام ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا (29) ﴾ [سورة الفرقان: الآيات 27-29] فقد كان عُقبةُ خَليلاً لِزعيم الكُفر أُمَيَّةَ بنِ خَلَف، وأُمَيَّةُ هذا هو الذي أضَلَّهُ عن الحقِّ بعد أن أَسْلمَ فكان سببَ ارتدادهِ عن الإسلامِ في قصة مشهورةٍ[32]، لذا وبحسب الآية الكريمة فإن عُقبةَ يظلُّ يعَضُّ على أصابعهِ يومَ القيامة من الندمِ ويظلُّ يصرخُ ويبكي من شدة الندمِ، ونقرأ هذه

---

30 – المرجع السابق 912/2.

31 – وهو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن أبي مُعَيط، أحد وجهاء قريش، أسلم ثم عاد مشركًا، أُسِر يومَ بدرٍ وقُتِلَ. ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، 115/5.

32 – ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)11/19الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

الآيات الثلاث فنلمحُ في قولهِ صُرَاخًا وعَويلًا وبكاءً شديدًا وغير ذلك من المعاني التي أسهمت المدود الكثيرة في إيحائها وإظهارها للسامع، وتأمل كثرةَ المدودِ في الكلماتِ التاليةِ: (يا – الرسول – سبيلا – يا – ويلتا – ليتني – فلاناَ – خليلاً – أضلني – جاءني ...إلخ) ويظهرُ أكثرُ ما يَظهرُ إيحاءُ البُكاءِ والعَويلِ في النُّدْبَةِ: (يا ويلتا ..) ثم في أداةِ التمني التي اتصل بها ضمير المتكلمِ (ليتني) وهنا يحصلُ مدٌّ آخرُ ، وهكذا، إن تَتَابُعَ المدودِ وتلاحقَها في هذه الآياتِ يُوحي بالصُّراخِ والاستغاثةِ والعويلِ والإجهاشِ المستمرِ غيرِ المنقطع بالبكاء، ثم إنَّ التَّلوينَ هنا في المدِّ ما بين مَدِّ أَلِفٍ ومَدِّ ياءٍ على الغالب يُوحي بارتفاعِ وَتيرةِ الصُّراخِ والعَويل مع مَدِّ الأَلفِ، ثم يأتي مدُّ الياءِ لِيُوحي بالإجهاشِ بالبُكاء فتأمل مثلاً قوله: [يا – ويلتا] جاء هنا مَدًّا أَلِفٍ مُتَلاحقانِ في النُّدْبَةِ والاستغاثةِ، فهنا كان الظَّالمُ يَصْرُخُ صُرَاخًا شَديدًا، ثم جاء مدُّ الياءِ في الكلمة التالية (ليتني) لِيجهَشَ بالبكاءِ، ثم يعود إلى مَدِّ الألفِ وإلى الصُّراخِ في (فلانًا – خليلًا)، ثم يَعودُ إلى الإجَهاشِ في البكاءِ في (أضلني)، أمّا في لفظةِ (جاءني) فالمدُّ المتَّصِلُ هنا يُمَدُّ خمسَ حركات وجوبًا[33] لِيَجْتَمِعَ في هذه الكلمةِ إيحاءُ الصُّراخِ ثم إيحاءُ البُكاءِ في الياء، وكأنَّه في صُراخه وفي النُّدْبةِ بِمَدِّ الألفِ يُسْمِعُ من حوله في النار أنَّه كان مسلمًا، ثم يعود بِمَدِّ الياء إلى الإجهاشِ بالبُكاءِ في لفظة(سبيلا) بدليلِ قوله في التمني: يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ معَ الرَّسُولِ سَبيلا، فيأتي مدُّ الياء بعده مدُّ الألف في (سبيلا) فيوحي ذلك بتفاوت طبقة الصراخ والعويل والبكاء ما بين هبوط وصعود، ثم تأكيدُهُ إسلامَهُ من جديدٍ في إطنَابِه الذي يؤكدُ إسلامَهُ وارتدادَهُ زيادةً في التَّحَسُّرِ والحُرقَةِ والنَّدَمِ:(لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْد إِذْ جَاءَنِي) فهو يُكَرِّرُ هذه الجملةَ ويُرَدّدُها وما يزالُ بعدَ أن أحسَّ بِهَولِ العذابِ وتَيَقّنَ عِظَمَ خَسَارته.

ومثلُ هذه الآيةِ الكريمةِ قولُهُ تعالى يَصِفُ نَدَمَ الكافر يوم القيامة: ﴿يومَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [سورة النبأ:الآية40] فقولُ الكافر:(يا ليتني كنت ترابا) فيه مدود أربعةٌ، وهذه المدودُ تُوحي بالصُّراخِ في مَدِّ الأَلفِ في (يا) ثم تُوحي بالإجْهَاشِ في البُكاءِ في مدِّ الياء في (ليتني)، ثم بالصُّراخ من جديدٍ في مدَّي الألف في (تُرابا) فتمتزجُ الحَسْرةُ والحُرقَةُ بتمنّي المستحيلِ الذي تدلُّ عليه أداةُ التمني (ليت).

ونقفُ على إيحاءِ المدودِ ذاتهِ في قولَه تعالى:﴿وأمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28)

33 – سويد ، رشدي : النور المبين في تجويد القرآن الكريم ص45.

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)﴾ [سورة الحاقة: الآيات 25-29]فنلحظُ أنّ المدودَ المتلاحقة توحي بصورة العويل ذاتها، إلاّ أن الفواصل هنا في الآيات التي تنتهي بـ (يَهْ) بعد مَدِّ ألف توحي بالحَشْرَجَةِ والاخْتِنَاقِ، فكَأنَّ هذا الذي أدرك خسارته وهلاكه بعد أن أخذ كتابه بشِماله تملّكتْهُ حالةٌ من شدة الأسى والحُرقة صار لهوله يصرخ ويبكي ثم توقفهُ الغَصّةُ من عِظَم البكاء والعويل فيختنق بما يوحي به صوت الهاء الساكنة، والهاءُ حرف يخرج من أقصى الحلق[34]، فكأنهُ يختنق ويتقطع صوته وتنقطع أنفاسه ويموت.

وتتكرر هذه الحالة في كلِّ آية مع تكرار الفاصلة المنتهية بمدٍّ ثم بـ(يَهْ) وقد تصاحبَ مع قوله السابق (ماليهْ) وُجودُ سكتةٍ لطيفة عند الهاء فالقارئ يسكتُ، مما يوحي بالحالة التي يكون عليها الكافر، فكأنَّه في الآياتِ يتكلَّم بِضْعَ كلماتٍ ثم يختنقُ وتنقطعُ أنفاسُهُ ثم يعود ليتكلم واصفاً هلاكَه وشدَّة أسفه وندمه بقوله:(يا ليتها كانت القاضية) ثم يحشرج وتصيبه الغَصّة في الحلق ثم يعود للبكاء والصراخ (ما أغنى) وهنا تَلاحقَ مدّا ألفٍ، ثم يعود إلى البكاء والإجهاش في (عنّي) ثم يعود إلى الصراخ في مد الألف في (ماليهْ) ثم يختنق عند الهاء الساكنة، وهكذا للقارئ أن يتخيل حال الكافر وهو يختنق، ونلاحظ أن الآياتِ التي تتلوها قد تغير فيها نوعُ المدِّ فصارت مُدوداً للواو ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه(32)﴾[سورة الحاقة: الآيات 30-32] وهذه المدود توحي بصوت يأتي من علٍ يخاطب زبانيةَ جهنم، وكأن هذا الصوت يشق الآفاق ويقتلع الآذان ويصمّها، وتأتي أيضًا الهاء المضمومة بعد مد الواو فتوحي بالرعب والفزع، إنه موقف مَهيب رهيب، وتتوالى مدود الواو لتُكسِبَ الأوامرَ الإلهية رهبة من خلال المدّ، ولكنه هذه المرة مدُّ واوٍ، وتأتي الميم المشددة في (ثُمَّ) التي توحي بالغضب، وهنا نلحظُ الغُنَّةَ وتشديد الميم، ونلحظ تكرار (ثُمَّ)، ولكَ أن تتأملَ لفظَ (صَلّوه) وما يؤديه صوت الصَّادِ الصفيريّ، وتشديد اللام وبعده مدُّ الواو ثم الهاء، وإذا وقفنا عند الفواصل في أثناء القراءة وجدنا أن صوت الهاء الساكنة يُرهب الآذان ويولد الخوف في الأبدان، فتحصل السكينة والخشوع، وإذا قرأ هذه الآيات مقرئ متقنٌ مجوّدٌ، فإن القشعريرة ستتملّكُنا من هول المشهد.

ومثل ذلك قوله تعالى مخبرًا عن ندم الإنسان العاصي الكافر:﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورةالفجر:الآية24] فتلاحُقُ المدود يوحي بالبكاء والحسرة والعويل والصراخ، وهكذا.

---

34 – سويد ، النور المبين في تجويد القرآن الكريم ص13

ونقرأ قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2)أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3)﴾[سورة ق:الآيتان2-3] فالكافرون هنا ينفونَ جَوَازَ أَنْ يُرسلَ اللَّهُ إليهم بَشَرًا مِثلَهم، ويتهكمون ويقولون في سخرية "هذا شيء عجيب" ثم نراهم في قولهم هذا يستخدمون مدود الألف المتلاحقة: (أإذا متنا وكنا تراباً ذلك)، خمسُ كلماتٍ متلاحقةٍ فيها خمسة مدودِ ألفٍ، وكأنهم هنا يستخدمون تمديد الكلام وهم يفغرون أفواههم تعجباً واستنكاراً، وقد أدّى تلاحق المدود إلى الإيحاءِ برفع وتيرة صوتهم وتمطيط كلامهم سخرية واستغرابًا وإنكارًا، ثم جاءت لفظة (ذلك) للبعيد ولم يقولوا :(هذا) لشدة إنكارهم ورفضهم قبول الفكرة.

وللمدود إيحاءات متباينة في القرآن الكريم تختلف باختلاف السياق، ففي قوله تعالى مثلا: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [سورة ق :الآية10] نقف عند كلمة(باسقات) وهي هنا بمعنى: " طوالٍ، تامات الارتفاع "[35] وقد توالى في لفظةِ (باسقات) مَدًّا ألف بما يوحي بطول النخل وارتفاعها، وكذلك في لفظ (لها) بعدها ثم يختفي مد الألف في (طلع نضيد).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ [سورة المرسلات:الآية27] فانظر إلى قوله (رواسي شامخات) حيث توالت ثلاثة مدود للألف بما يوحي بارتفاع الجبال وشمهما.

ونقرأ قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)﴾[سورة الطور: الآيتان 30-31] فالمشركون هنا يصفون النبي بأنه شاعرٌ، وينتظرون نزول الموت به، وإذا نظرنا في الألفاظ التالية (نتربّص – تربّصوا – المتربّصين) نجد أنهم استعملوا لفظاً فيه سخرية، وهو فعل(نتربّص)، وجاء الرد من الله تعالى بسخرية مضاعفة بتكرار اللفظ نفسهِ، علماً أن في هذا الفعل باءً مشددةً بعد الراء التي تفيد تكرار التربص ثم ينتهي الفعل بالصاد ، فأصوات هذا الفعل توحي بمعناه الساخر من خلال تحريك العيون وهزِّ الرأس في أثناء التربص وتكرار النظر والرؤية.

---

35 – عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م، مادة: بسق، 205/1

الخاتمة والنتائج:

بعد أن وصل البحثُ إلى نهايته يمكن أن القول: إن الإيحاء الصوتي هو رسمُ صورةٍ شاخصةٍ دالةٍ لمعنى من المعاني من خلال ائتلاف حروف ألفاظه وتناسبها مع حركاتها ومدودها. وقد عرض الباحث لأهم أشكال التصوير الفني في اللغة العربية وفرق بين أنواعها، كما تتبّعَ هذه الظاهرة عن القدماء والمحدثين مفصلًا آراءهم فيها.

وبعد ذِكْرِ عدد من الآيات القرآنية وتحليل كلماتها وحروفها ومعانيها تبيَّنَ للباحث أن في اللغة العربية كثيرًا من الألفاظ يوحي جَرْسُها الموسيقي بمعناها، وهو أمر يدلّ على حيوية هذه اللغة وعبقريتها، ويمكن أن نستنتج أيضًا أن اللغة التي لألفاظها قدرة على رسم صورة فنية موحية بالمعنى من خلال تجانس حروفها وائتلاف مدودها وشدّاتِها وحركاتها لهي حقًا لغةٌ مُعجِزَةٌ.

المصادر والمراجع

- لقرآن الكريم
- ابن جني، عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984 هـ.
- ابن عثمان، عمرو، أبو بشر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية،1402هـ-1982م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م.
- أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة.
- أنيس، إبراهيم: دلالةُ الألفاظِ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1985م.
- البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1983م.
- الجابي، أحمد نصيف: في الرؤية الشعرية المعاصرة، العراق، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة.
- حسين، محمد الخضر: الخيال في الشعر العربي، الطبعة الثانية، 1392هـ - 1927م.
- الرازي، فخر الدين: التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1938م.
- الرافعي، مصطفى صادق: إعجازُ القرآنِ والبلاغةُ النبوية، دار الكتابِ العربي، بيروت، الطبعةُ الثالثة، 1990م.

- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم: الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.
- سويد، أيمن رشدي: النور المبين في تجويد القرآن الكريم، دار أفنان، الطبعة الثالثة، الشارقة – 1426هـ.
- السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تعليق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م.
- عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق — 1998.
- عبد التواب، صلاح الدين: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م.
- عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1992م.
- العقاد، عباس محمود: اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1995م.
- عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- قصاب، وليد: في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، دار الفكر دمشق- دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، 1435هـ 2014م.
- قطب، سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم، ، دار الشروق، الطبعة 13، 1993م.
- المبارك، محمد: فقه اللغة دراسةٌ تحليلية مقارنة للكلمة العربية، مطبعة جامعة دمشق، 1960م.

KAYNAKÇA

Abbas, Hasan. *Hasaisu Hurufi'l-Arabiyye ve Meaniha*, Menşuratu ittihadi'l-Kuttabi'l-Arab, Dımaşk, 1998.

Abduttevvab, Salahuddin. *Suretu'l-Edebiyye fi'l-Kurani'l-Kerim*, eş-Şirketü'l-Mısriyye el-Alemiyye li'n-Neşr, Lunchman, Kahire, I.Baskı,1995.

Akkad, Abbas. Mahmut:*el-Luğatu eş-Şairatu*,Nehdetu Mısri li't-Tibaati ve'n-Neşri,I.Baskı,1995.

Betal, Ali. *es-Suretu fi'ş-Şi'ri el-Arabiyyi Hatta Ahiri el-Karni es-Sani el-Hicri*, Darü'l-Endülüs, Beyrut, Lübnan, II.Baskı, 1983.

Ebü'l-Fadl Cemaleddin Muhammed b.Mukrim, İbn Manzûr. *Lisânü'l-Arab*, Dâru Sâdır, Beyrut II.Baskı.

el-Cabi, Ahmet Nesif. *fi Ruyeti eş-Şi'riyyeti el-Muasıra*, Irak, Vizaretü'l-İlam, Müdiriyyetü's-Sekafeti el-Amme.

Enis, İbrahim. *Delâletü'l-elfaz*, Mektebetü'l-Encelü'l-Mısriyye, Kahire, I. Baskı, 1985.

er-Rafii, Mustafa Sadık. *İcazu'l-Kur'an-i ve'l-Belağatu'n-Nebeviyye*, Dârü'l-Kitabu'l-Arabiyye, Beyrut, III. Baskı, 1990.

er-Razi, Fahreddin. *Tefsir-i Kebir*, Matbaa-yi Behiyye-i Mısriyye, Darü'l İhya-i't-Turasi'l-Arabiyye, Beyrut, 1938.

es-Suyuti, Celaleddin. *el-İtkan fi Ulumi'l-Kuran* (talik: Mustafa el-Buğa), Darü ibn Kesir, Dımaşk, Beyrut, I. Baskı, 1407/1987.

Hüseyin, Muhammed. *el-Hadaru ve'l-Hayalu fi'ş-Şi'ri'l-Arabiyye*, II. Baskı, H.1392.

İbn Aşur, Muhammed et-Tahir et-Tunisi. *et-Tahrir ve't Tenvir*, ed-Darü't Tunisiyye, li'n-Neşr-Tunus, 1984

İbn Cinni, Osman. *el-Hasais*, (thk. Muhammed Ali en-Neccar), Daru'l-Kütübi'l-Mısriyye, el-Mektebetü'l-İlmiyye, Mısır.

İbn Kesir, İsmail b.Ömer Ebu'l-Fida. *Tefsiru Kur'ani'l-Âzim* (thk. Sami b.Muhammed b.Selame), Daru Taybe li'n-Neşri ve't-Tevzi', II. Baskı, 1420/1999.

İbn Osman, Amr. *Ebu bişr Sibeveyhi* (thk. Abdusselam Muhammed Harun), Mektebetü'l-Hanci, Kahire, II. Baskı, 1402/1982.

Kassab, Velid. *fi İcazi'l-Belağiyyi li'l-Kuranil-Kerim*, Darü'l-Fikri Dımaşk-Darü'l-Fikri Muasır, Beyrut, II. Baskı, 1435/2014.

Kur'an-ı Kerim.

Kutub, Seyyid. *et-Tesvirü'l-Fenniyi fi'l-Kuranil-Kerim*, Darü'ş-Şüruk, XIII. Baskı, 1993.

Mübarek, Muhammed. *Fıkhu'l-Luğati Dirasetun Tahliliyyetun Mukarenetun li'l-Kelimeti el-Arabiyye*, Matbaatu camiati Dımaşk,1960.

Ömer, Ahmed Muhtar. *Mu'cemu'l-Luğati'l-Arabiyye el-Muasıra*, Alemu'l-Kutubi, Mısır, I. Baskı, 1429/2008.

Süheyli, Abdurrahman b. Abdullah b. Ahmed, Ebü'l-Kasım. *er-Ravzü'l-ünüf fi Şerhi's Sireti'n-Nebeviyye li'bni Hişam* (thk. Ömer Abdusselam es-Selami), Darü'l-İhya-i't-Tûrasi'l-Arabiyye, Beyrut, I. Baskı, 1421/2000.

Süveyd, Eymen Rüşdü. *Nuru'l-Mubin fi Tecvidi'l-Kur'an'il-Kerim*, Darü Efnan, III. Baskı ,eş-Şarikatu, H.1426.

Süveyd, Rüştü. *Nuru'l-Mubin fi Tecvidi'l-Kur'an'il-Kerim*, s.45

Usfur, Cabir. *es-Suretu'l-Fenniye fi't-Turasi'l-Nekdive'l-Belağiyye inde'l-Arab*, el-Merkezu el Sekafiyye el-Arabiyye, Beyrut, Darü'l-Beyza, III. Baskı, 1992.